مجلـــة الخليل في علوم اللسان | المجلد 03 / العـــــــدد: 01 (سبتمبر 2023)، ص235-250

التأويل في نظرية النحو الوظيفي.

INTERPRETATION IN FUNCTIONAL GRAMMAR THEORY.

سلمى معلم

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة-الجزائر، malemsel@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/31 تاريخ القبول: 2023/03/12 تاريخ النشر: 2023/09/12

ملخص: ركز ممثلو نظرية النحو الوظيفي على خدمة مستعمل الخطاب (منتجه (المتكلم/ الكاتب) ومؤوله)، عبر تحديد عناصر ومستويات تشكيله حيث نقف على صياغة كاملة، لتتاح بذلك إمكانية فهم ماهية الخطاب وكيفية التعامل معه إنتاجا وتحليلا (فهما وتأويلا)، وقد عملت على توضيح ذلك وفق منظور علمي دقيق وهذا ما تناولته في إطار سعيها لتحصيل الكفاية النفسية، حيث تم البحث أولا في النسق الذهني المجرد من استعمال الخطاب إذ اهتمت بهندسة الدماغ البشري، من أجل تحديد كيفية عمله، والوصول إلى شرح علمي يوضح ماهية القدرة الخطابية، ووصف وتفسير عمليتي الإنتاج والتأويل من الذهني إلى الصوتي أو العكس.

فقد وجهت بحوثها لتحديد المراحل التي تمر بها كل عملية، وكذا تبيين الآليات المعتمدة من قبل منتج الخطاب ومؤوله. وقد ركزنا في هذه الدراسة على عملية التأويل، حيث سنحاول توضيح ماهية التأويل في نظرية النحو الوظيفي وتبيين أسسه وإستراتيجياته.

كلمات مفتاحية: نظرية النحو الوظيفي، الكفاية النفسية، الخطاب، الإنتاج، التأويل.

Abstract: Representative of the functional grammar theory focused on serving the user of the discourse (the speaker/writer) and its interpreter), by defining the elements and levels of its formation, in order to allow the possibility of understanding the discourse and hou to deal with it, production and analysis (understood and interpreted). And she worked to clarify this according to an accurate scientific perspective, and this is what she dealt with in the framework of her quest to obtain the principle of psychological sufficiency, as it focused on engineering the human brain, in order to determine how it works, and to reach a scientific explanation that explains the ability rhetorical, describing and interpreting the production and interpretation from the mental to the phonetic or vice versa. It directed its research to determine the stages that each process goes through, , as well as to clarify the foundations adopted by the producer and interpreter of the discourse.

We have focused in this study on the process of interpretation, where we will try to clarify the concept of interpretation in the theory of functional grammar and explain its foundations and strategies.

Keywords: FUNCTIONAL GRAMMAR THEORY, PSYCHOLOGICAL SUFFICIENCY, DISCOURSE, PODUCTION, INTERPRETATION.

المؤلف المرسل: سلمى معلم. الإيمايل: malemsel@gmail.com

1 - **مقدمة**:

عنيت نظرية النحو الوظيفي بوصف وتفسير القدرة الخطابية، مركزة في خضم ذلك على توضيح أساسيات ومبادئ العملية الخطابية التواصلية بما يخدم مستعمل الخطاب، وقد اعتمدوا في هذا الأمر على النمذجة والصورنة العلمية الدقيقة. هذا ما يعكسه نموذج مستعملي اللغة الطبيعية الذي تم الاهتمام فيه برصد كيفية استعمال اللغة في خطابات تبليغية ناجحة، إذ تمت معالجة كل ما يتعلق ببنية الخطاب، ومن ذلك تحديد مكوناتها ومستوياتها ومختلف العناصر المتفاعلة فيه باعتباره فعلا تداوليا وعملية تواصلية، وكذا الوقوف على وصف مختلف المراحل التي تمر بها عمليتا الإنتاج والتأويل.

لقد جاء الاهتمام بتلك العمليتين في إطار مسعى بناء نحو وظيفي شامل وبلوغ معيار الكلية، وهذا ما ارتبط بتحقيق نحو النظرية لمبدأ الكفاية النفسية الذي يعد من أهم مبادئها، وذلك ما تم الحديث عنه تحت مبدأ تحقيق الكفايات الثلاث، حيث نجد إلى جانب تلك الكفاية الكفاية التداولية والكفاية النمطية، وهو ما فرضه كذلك موضوع دراستها الذي تطور البحث فيه من وصف وتفسير القدرة التواصلية إلى وصف وتفسير القدرة الخطابية، أين تم الاهتمام بالعملية الخطابية التواصلية، ليكون التأويل أهم القضايا المطروحة، حيث شكل محور تركيز نماذجها المختلفة بدءا من النموذج المعيار.

ومما لا شك فيه أن الحديث عن التأويل في نظرية النحو الوظيفي يرتبط بمبدأ الوظيفية، الذي يقتضي ربط بنية الخطاب الداخلية ببنيته الخارجية، غير أن الإشكال الذي ربما يطرح نفسه على الباحث هو: كيف تمت معالجة موضوع التأويل في هذه

النظرية؟ وما هي مظاهر جِدّة التصور الوظيفي بخصوص التأويل؟ لا سيما وأنه ليس بالموضوع الجديد بالنسبة للكثير من الدراسات الغربية القديمة والحديثة. ومن هذا المنطلق كان العمل على تحديد ماهية التأويل في نظرية النحو الوظيفي وتبيين آلياته وإستراتيجياته، أهم ما سعت إليه هذه الدراسة.

2 - أهمية التأويل في الدراسات الغربية:

لا يمكن أن تكتمل الممارسة الخطابية التواصلية سيرا ونجاحا إلا من خلال مرحلة التفاعل بين الخطاب والمتلقي، وذلك باعتبارها المرحلة الثانية الأساس بعد مرحلة الإنتاج. وتجسد تلك المرحلة فعل التلقي الذي يعد فعلا كليا يتضمن أفعالا جزئية يمثلها: (فعل القراءة، فعل الفهم، فعل التأويل)، وهي في الأصل مراحل التعامل مع محتوى الخطاب (تركيبا ودلالة وتداولا)، أين يتدرج المتلقي باعتماد أسس محددة وآليات عقلية من مرحلة لأخرى، وذلك ما يعني أن الخطاب ينتقل من علاقته بصاحبه إلى علاقة التفاعل القرائي، التحليلي، التأويلي؛ أي علاقته بالطرف المستهدف بالإرسال (المتلقي)؛ فنقف بذلك على مرحلة أخرى يصبح فيها ذلك الطرف منتجا (ومبدعا ثانيا) جديدا، من خلال كشفه لمعاني ودلالات الخطاب المضمرة التي يعمل على استنطاقها وتأويلها.

تعد مرحلة التلقي بكل جوانبها من أبرز المحطات البحثية التي استوقفت النقد الغربي الحديث، فقد برزت طروحات كثيرة ركزت على معالجة قضايا تلك المرحلة، وهذا ما يمكن الوقوف عليه من خلال نظريات التلقي، التأويلية، والفينومينولوجيا، والتداولية، النقد الثقافي ...، وقد اجتمعت كلها حول التنبيه إلى أهمية فعل التلقي ووجوب حضوره في أي إنجاز لغوي أو إبداع أدبي؛ وبالتالي وجوب تقصي وجوده أثناء دراسة ذلك الأخير، فقد "نبهت نظرية الفينومينولوجيا بإلحاح إلى أن دراسة العمل الأدبي يجب أن تهتم ليس فقط بالنص الفعلي، بل كذلك وبنفس الدرجة بالأفعال المرتبطة بالتجاوب مع ذلك النص"[1]؛ أي الأفعال التي تبين مدى مراعاة المنتج لمخاطَبه وقد أشار ياوس(Hans Robert Jauss) وآيزر(wolfgang Isére) من خلال نظرية أفق الانتظار، أن "النص الجديد يستدعي للقارئ (أو للسامع) مجموعة من الانتظارات والقوانين كان قد

استأنس بها من خلال النصوص السابقة، وهذه الانتظارات والقوانين يمكن أن تنتظم أو تتعدل أو تتغير أو ببساطة تعاد كما هي وذلك أثناء عملية القراءة"[2].

وقد عرفت فكرة الاعتداد بأولوية القارئ وأهمية دوره انتشارا واسعا مع رولان بارت؛ إذ يمثل القارئ عنده العنصر الفاعل الرئيس الذي يشكل إبداعية النص ويبني هويته، وهذا ما يؤدي إلى إبعاد المؤلف إبعادا يخرجه من مجال الإبداع، ويقيم حدا فاصلا بينه وبين نصه ليصبح بذلك القارئ هو وحده المبدع الحقيقي للنص، وحسب الطرح البارتي يبدأ دور القارئ حين ينتهي دور الكاتب (المؤلف) الذي يتوقف عند حدود الكتابة.

لقد ظهر الاهتمام بالمتلقي كرد فعل على إهمال السياق الخارجي والمناداة بفكرة انغلاق الخطاب /النص، وانعزاله على ذاته في إطار المقاربة اللسانية البنوية - معتقدة أن ذلك هو ما يضمن الحفاظ على هويته -، وهذا ما سعت إلى تجاوزه تصورات من داخلها؛ فـ "إذا كانت البنيوية اللسانية قد أغفلت المؤلف والطبقة الاجتماعية والتاريخ، وكل ما يمت بصلة إلى المرجع، فإن البنيويين الجدد (التفكيكيون والشكلانيون الجدد)، مثل: تودوروف، وديريدا، وكريستيفا، ورولان بارت، قد أولوا أهمية بالغة للقارئ لما له من دور مهم في فهم النص وتفسيره وتأويله. وقد ظهرت نظريات كبرى تركز على أهمية القارئ، مثل: النظريات الاجتماعية، ونظريات التخاطب، ونظريات الاتصال"[3].

ويبدو أن هذا ما يفرضه سؤال: ماذا بعد إنتاج الخطاب ؟، إذ تتجلى قيمة أي إنتاج لغوي (عاديا كان أم أدبيا) في نسبة التفاعل والحوار الذي تقوم بينه وبين المرسل إليه، خاصة حين يتجاوز المرسل وظيفة الإخبار؛ أين يحتاج الأمر إلى القراءة العميقة والتأويل، مما يجعل المرسل إليه منشئا ومبدعا ثانيا؛ "إذ يمارس حقه في قراءته وإدراك جماليته، فتمثل تلك القراءة إبداعا ثانيا لأنه سيبحث آنذاك في مناطق غيبية في المعنى تعينه على فهم المعطيات، وتقدم له الإمكانات الدلالية القابعة وراء الدوال"[4]. وذلك ما يتطلبه مبدأ التفاعلية الخطابية الذي يفرض متلقيا فاعلا، يوظف كفايته التواصلية بطريقة مثالية في تعامله مع دلالات ومضان الخطاب، فيتمكن من فك شفراته المغلقة التي

تقوده -أحيانا -إلى معرفة مقصدية منتجه عبر تأويلات، تخرجه من مجال التلقي السلبي إلى مجال التلقي الإيجابي.

يظل الخطاب المنجز قبل مرحلة التلقي التفاعلي في حالة سكونية لا يمكنه إحداث أي تأثير، إذ تكون دلالاته صامتة في حالة من الجمود، وذلك ما يتغير من خلال آلية القراءة والتأويل؛ حيث يسعى القارئ إلى استنطاقها وتحريك شحناتها التعبيرية، وأهم من ذلك الخروج ببعضها إلى آفاق تأويلية ذات أبعاد جمالية تكون أكثر إبداعية، تكشف عن أدبية الخطاب/ النص، وهذا ما يؤكد أهمية القارئ وسلطته.

لقد قاد الاعتراف بسلطة القارئ القول بحريته في التأويل؛ وذلك ما ذهبت إليه نظرية جمالية التلقي عند ياوس وآيزر. لكن لا يقصد "بهذه الحرية، أن يكون القارئ غير ملزم بالضوابط الفنية، وإنما تريد أن يتحرر من الجبرية التي فرضها النقد الماركسي على الفن، فالقارئ الماركسي يستقبل النص في إطار وضعية إيديولوجية معينة، تتوقف عندها حرية فرديته بكل ذاتيتها وميولها ونشاطها الذهني، ليكون القارئ بذلك أسير نظام عقائدي أو ثقافي محدد قد يحجب الرؤية الكاملة في عملية الاستقبال"[5]، وهذا ما عملت نظرية القراءة على تفنيده وتقويضه، إذ لا يجب على القارئ أن يلتزم بالسير وفق رؤية معينة يتقيد بها ترغمه على القيام بإسقاطات فكرية مسبقة، تحول دون ظهور القراءة الفنية البناءة، التي تجعله مبدعا ثانيا، ولعل القراءة الوسطية التي تكون بين (الرؤية الفنية) و(الرؤية الموضوعية) هي ما يُفترض الاعتماد عليها حسب هذه النظرية.

ومما لا شك فيه هو أن مقصدية المؤلف أهم ما تتطلبه تلك القراءة، إذ يسعى القارئ للبحث عنها من أجل فهم الخطاب وتأويله، فعلى الرغم من أنها تكون في الغالب شيئا مفترضا، فإنها من أهم المقومات التي تساهم في إضفاء المصداقية على عمله، إذ يذهب **هيرش Hirch** في كتابيه: (المصداقية في التأويل) و (أهداف التأويل) بأنه "لا يمكننا التأويل ما لم نفترض سلفا قصدا للمؤلف يوجه ذلك التأويل ويبني مصداقيته"، فلا ينبغي أن يتصرف القارئ بحرية ويمارس سلطته على النص فيفصله عن منتجه.

يجدر أن تكون عمليات القارئ التحليلية التأويلية ونتائجه التي يُكوّن عبرها خطابا ثانيا على علاقة دائمة بالخطاب الأصلي؛ فبين الإنتاج والتأويل نجد خطابان "الخطاب

القارئ، والخطاب المقروء تكون بينهما علاقة تكشف قدرة أصلية على استعادة الخطاب لذاته بشكل متجدد. والتأويل هو النهاية الفعلية لهذه العلاقة، فإذا كانت القراءة ممكنة فلأن النص ليس مغلقا على ذاته، وأن تقرأ يعني أن تنتج خطابا جديدا تربطه بالنص المقروء"[6]، وهذا ما يقر بتعدد القراءات التأويلية بين القراء؛ حيث تكون في العادة متباينة رغم انطلاقها من مضمون واحد (الخطاب المقروء)، وذلك ما يؤدي إلى إحياء وتجديد الخطاب كل مرة.

تتباين طريقة القرّاء في تعاملهم مع الخطاب الواحد وذلك ما يؤول بالدرجة الأولى إلى نوع القارئ؛ حيث نجد القارئ العادي والقارئ الخاص، كما يرتبط ذلك أيضا بالهدف من القراءة التي تتوقف على نوع الخطاب (التاريخي، الصحفي، العلمي، الأدبي ..)، وعلى أساس هذه الأمور تكون القراءة أنواع أهمها:[7]

أ - **القراءة الإسقاطية**: لا تركز على النص لكنها تمر من خلاله ومن فوقه متجهة نحو المؤلف أو المجتمع، وتعامل النص كأنه وثيقة لإثبات قضية شخصية أو اجتماعية أو تاريخية.

ب - **القراءة الشارحة**: تلتزم بالنص إلا أنها لا تأخذ منه إلا ظاهر معناه فقط، ويكون شرح النص فيها بوضع كلمات بديلة للمعاني نفسها.

ج - **القراءة الشعرية**: وتتمثل في قراءة النص من خلال شفرته في ضوء سياقه الفني، وتسعى إلى كشف ما هو في باطن النص، وتقرأ فيه أبعد مما هو في لفظه الحاضر.

يمكن توضيح اختلاف هذه القراءات كما يلي:

- تتناول القراءة الأولى النص من منظور مؤلفه حيث تعمل على ربطه بسياقاته (التاريخية ، الثقافية، الإيديولوجية) التي تميزه؛ إذ ترى أن النص يعبر عن هدف شخصي أو اجتماعي أراده المؤلف، فتركز على استنباط سمات النص التي تؤكد ذلك.

- تعد الثانية قراءة سطحية تهتم ببعده الدلالي المعجمي.

- تعد الثالثة قراءة عميقة تتمحور حول النص الأدبي من أجل استجلاء خصائصه الفنية الجمالية، وذلك ما يتعلق بالدلالة الضمنية التي يعتمد فيها على التأويل، الذي يسمح بتقديم قراءات جديدة تخرج في الغالب عن نطاق الحرفي الصريح.

3 - التأويل في نظرية النحو الوظيفي:

احتكت بحوث نظرية النحو الوظيفي بالبحوث التي قدمتها العلوم المعرفية المرتبطة بالمعرفة الداخلية الذهنية، والبحث في هندسة عمل الدماغ البشري وعملياته العقلية المختلفة (الفهم والإدراك مثلا). المسؤولة عن شتى المعارف الإنسانية بما فيها المعرفة اللغوية، وهو ما فتح المجال لاستفادتها من تلك البحوث، لاسيما منها التي اشتركت فيها العلوم المعرفية مع علوم إنسانية أخرى، "فمع منتصف الخمسينات من القرن الماضي لم يعد الباحثون قادرين على إيجاد الأجوبة الشافية الكافية للأسئلة المتعلقة بالعقل. هل تستند على حقل معرفي واحد؟ وهل ما تجلى في مشروع علمي جديد، رسم معالم البحث في العلوم المعرفية بالشراكة بين علوم عديدة مثل، علم النفس المعرفي، واللسانيات، والذكاء الاصطناعي، وفلسفة العقل، وعلوم الأعصاب ... وغيرها من العلوم الطبيعية والإنسانية التي شكلت مجالات للبحث النظري والتطبيقي، وأعادت النظر في نماذج التفكير كيف تحدث. وذلك بدراسة السيرورات المعرفية والعمليات الذهنية التي تنتقل بنا من التمثل إلى الفعل"[8]، وهذا ما مس مجال المعرفة اللغوية بدرجة كبيرة.

لقد أعطت النتائج التي توصل إليها الباحثون في مجال المعرفة اللغوية دفعا قويا حث العديد من النظريات اللسانية للخوض في الجانب العقلي للغة، والعمل على صياغة النماذج اللسانية الكفيلة بتقديم صورة دقيقة عن آليات العقل وعملياته التجريدية المتعلقة بالحدث اللغوي، حيث تتماشى ونتائج العلوم المعرفية كعلم النفس المعرفي وعلم النفس اللغوي.

ركزت نظرية النحو الوظيفي على إحراز ذلك، وهو ما جاء في إطار مسعى العمل على تحقيق مبدأ الكفاية النفسية، الذي يقتضي معرفة ورصد ومطابقة النحو الوظيفي لتقنيات الجهاز العصبي المتعلقة بعمليتي الإنتاج والفهم؛ إذ يقتضي "تحصيل الكفاية

النفسية من النحو الوظيفي أن يعكس بطريقة أو بأخرى ثنائية الإنتاج/ الفهم؛ أن يكون بتعبير آخر مطابقا لنماذج الإنتاج التي تُحدد كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية وينطقها ومطابقا لنماذج الفهم التي تحدد كيفية تحليل المخاطَب للعبارات اللغوية وتأويلها"[9]، ويعد الاقتصار على الإنتاج وحده أو الفهم والتحليل وحده إخلالا بتلك الكفاية.

ولتحصيل هذه الكفاية ينبغي مراعاة ما يقتضيه الشرطان التاليان:[10]

أولا: أن يقصى من إوالياته ما ثبت عدم واقعيته النفسية أو ما يشك في واقعيته النفسية، كالقواعد التحويلية مثلا، وقد بني النحو الوظيفي، منذ بدايته (ديك 1978) على أساس عدم استخدام هذا الصنف من القواعد في أي مرحلة من مراحل اشتقاق العبارات اللغوية.

ثانيا: تضمن النحو لجهازين: جهاز مُولّد يضطلع بتوليد الخطاب وجهاز مُحَلِّل يضطلع بتحليل الخطاب، وفي إطار حوسبة النحو الوظيفي قدم ديك وكونوللي (1989، وديك وكاهرل 1992)، اقتراح إضافة جهاز تحليل إلى جهاز التوليد، بحيث يقوم بالوظيفة (العكسية إذ يمكّن من إرجاع العبارات المتحققة إلى بنياتها التحتية).

وفي الواقع إن البحث اللساني المعرفي للنسق الذهني اللغوي وكل ما يتعلق بمقتضيات الكفاية النفسية، قد تمت مناقشتها بادئ الأمر في إطار النظرية التوليدية التحولية؛ إذ يعد تحصيل الكفاية النفسية من أهم الأهداف العلمية التي رسمها تشومسكي لنظريته اللغوية بالإضافة إلى تحصيل الكفاية التجريبية (أو الفيزيائية).

غير أن قواعد التحويل التي اعتمدت عليها هذه النظرية كانت عائقا حال دون التحقق المثالي للكفاية النفسية، إذ لا تتطابق التحويلات التي تخضع لها الجمل مع عمليات العقل وإجراءاته التجريدية. وهذا ما عمل ممثلو نظرية النحو الوظيفي على تجاوزه، إذ جعلوا أحد شروط تحقيق الكفاية النفسية إبعاد ذلك النوع من التحويلات.

لقد تم في إطار ذلك تبيين طبيعة الخطاب وهذا ما توضحه النقاط الآتية: [11]

- يشترك في كل عملية تواصل - تتم بالمشافهة أو بالمكاتبة - مشاركان: متكلم ومخاطَب.

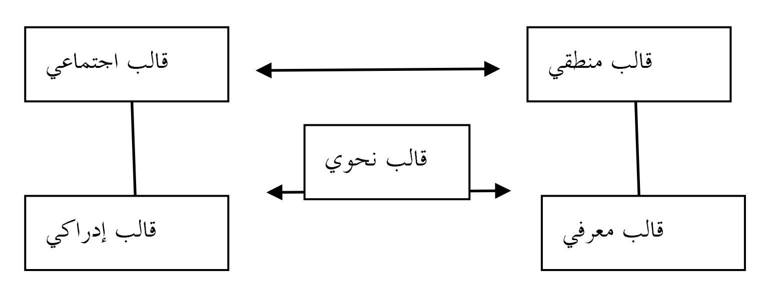
- يقصد المتكلم تمرير غرض تواصلي معين يصوغه جزئيا ضمن فحوى خطابه. وتتفاوت صياغة الغرض التواصلي من حيث درجة صراحتها التي يحددها مخزون المتكلم المعلوماتي. -

يشكل أي خطاب نموذجا ذهنيا يشارك في بنائه كل من المتكلم والمخاطَب ويتسم هذا النموذج بـ :

- سمة الجزئية لأنه لا يمكن أن يتضمن جميع ما يمكن أن نعرفه عن جميع العوالم الممكنة.

- وسمة الحركية لأنه ليس نموذجا قارا ثابتا من بدايته إلى نهايته بل إنه يتغير ويعدل حسبما تقتضيه كل مرحلة من مراحل التخاطب.

لقد كشفت نظرية النحو الوظيفي باعتماد تقنية النمذجة أن عمليتي الإنتاج والتأويل ذات طابع قالبي، وهذا ما بينته بواسطة نموذج مستعملي اللغة الذي يتكون - حسب ديك - من خمس ملكات: الملكة اللغوية، والملكة المنطقية، والملكة المعرفية، والملكة الإدراكية، والملكة الاجتماعية، بحيث تتكفل كل ملكة بجانب ودور معين، وقد أعاد صياغة ذلك النموذج وفق نظام القوالب، حيث جعل لكل ملكة قالبا يضطلع بوصفها فنجد القالب النحوي، والقالب المنطقي، والقالب المعرفي، والقالب الإدراكي، والقالب االجتماعي. وقد وضح هذه القوالب في الشكل الآتي: [12]



يكون استعمال الخطاب (إنتاجا وتأويلا) وفق هذه القوالب مضبوطا ومنظما، حيث يعمل كل قالب على القيام بوظيفة معينة، تكون ذات بعد لغوي، أو عقلي، أو معرفي، أو حسي، أو اجتماعي، وعلى أساس تبعية القوالب للملكات فإن وظيفة كل قالب تتحدد على الشكل الآتي: [13]

أ - يتكفل القالب النحوي بإنتاج وتأويل العبارات اللغوية وتأويلها بطريقة سليمة.

ب - يقوم القالب المنطقي بمهمة اشتقاق بنيات تحتية من البنية التحتية المحددة في إطار القالب النحوي عن طريق قواعد الاستدلال.

ج - يضطلع القالب المعرفي بتخزين المعارف التي ترد عليه من القوالب الأخرى وتنظيمها لاستعمالها عند الحاجة.

د - يقوم القالب الاجتماعي بتحديد الكيفية التي يجب أن يتم بها التواصل بالنظر إلى الخلفيات الاجتماعية التي تميزه.

ه - يتكفل القالب الإدراكي باشتقاق معارف من المدرك الحسي وتخزينها في القالب المعرفي قصد استعمالها عند الحاجة.

تتفاعل هذه القوالب فيما بينها سواء بالنسبة لعملية الإنتاج أو التأويل، وتضبطها علاقة تسير وفق نظام محدد يخضع للشرطين التاليين:[14]

1 - أن يستقل كل قالب عن القوالب الأخرى من حيث موضعه ومن حيث أوالياته (مبادئه وقواعده)

2 - أن يظل كل قالب منفتحا على تلك القوالب بحيث يتفاعل معها في وصف ظواهر معينة.

يتم تشغيل هذه القوالب بدرجات متفاوتة؛ أي حسب حاجة مستعمل الخطاب (منتج/ مؤول) التي تكون بالنظر إلى أمرين: [15]

أ - نمط الخطاب: إذ تختلف أدوار القوالب باختلاف الأنماط الخطابية، فلا يقوم القالب المنطقي مثلا في تأويل خطاب مبني على الاستلزامات الحوارية بنفس الدور، الذي يقوم في تأويل خطاب ذي دلالات حرفية صريحة.

ب - الوضع التخابري القائم بين المتخاطبين: حيث يحصل في مقامات الألفة، أن يتقلص دور القالب النحوي – إنتاجا وتأويلا-، فتعتمد المعلومات غير اللغوية المتوافرة في القوالب الأخرى.

يعد القالب النحوي القالب المركز الذي يحضر في شتى عمليات استعمال الخطاب بكل أنواعه، وقد تم تصنيف هذه القوالب بالنظر إلى أهميتها وحضورها في الإنتاج والتأويل إلى:[16]

أ - قوالب أدوات: وهي القوالب الرئيسة؛ وتضطلع بمهمة إنتاج الخطاب وتأويله ويمثلها: القالب النحوي، والمنطقي.

ب - قوالب مخازن: وهي قوالب مساعدة؛ إذ إنها تكتفي بإمداد القوالب الآلات بما تحتاجه من معلومات حين يقتضي الأمر ذلك، وتكون معلومات غير لغوية (مدركات حسية، معارف عامة، مواضعات اجتماعية ...)، تلك القوالب هي: القالب المعرفي، والقالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي.

تسير القوالب المخازن وفق سلمية محددة توضح كيفية عملها، وذلك حسب معيار الأهمية التي يحتلها كل قالب؛ إذ تكون بناء على ذلك من الأدنى إلى الأعلى، حيث "يكون القالب الإدراكي بمقتضاها دون القالبين المعرفي والاجتماعي أهمية. ومن تعليلات ذلك أن التواصل عبر اللغة لا يحتاج في جميع الحالات إلى استخدام المعلومات التي يقدمها السياق الحسي. ويصدق هذا على كل العبارات التي يمكن أن تؤوّل دون اللجوء إلى هذا الضرب من المعلومات السياقية. أما القالب الاجتماعي فإن ضرورة استخدامه دون ضرورة استخدام القالب المعرفي؛ إذ إن ثمة أنماطا من الخطابات – كالخطاب العلمي مثلا – يمكن أن توصف بأنها محايدة اجتماعيا. في مقابل ذلك يبدو من الصعب وجود خطاب يستغنى فيه استغناء كليا عن مخزونات القالب المعرفي"[17]. ويمكن القول من منطلق الطابع الوظيفي التداولي الذي يعزز في نفس الوقت خاصيته الاجتماعية في حدودها العامة، التي تجعله تفاعلا علاقيا يربط طرفين (المنتج/ المتلقي)، إن القالب الاجتماعي يشكل القالب المركز ضمن مجموعة القوالب المخازن.

4 - القوالب وتأويل الخطاب:

كشفت نظرية النحو الوظيفي عبر بحوثها المعرفية في هندسة العقل/ الدماغ البشري، أن التأويل عملية ذهنية وظيفية يتقصى من خلالها المتلقي المعاني والدلالات التي يحملها الخطاب المقصود بالتأويل، حيث يعرّفها ديك بأنها: "العملية (أو مجموعة

العمليات) الذهنية التي يقوم بها المتلقي (مخاطَب، مستمع، قارئ...) لإدراك معنى عبارة لغوية ما (نص، جملة، جزء جملة...) منجزة في مقام معين"[18]؛ إذ يجب أن تكون معالجة المتلقي الذهنية للخطاب المتعامل معه وفق منظور وظيفي تداولي، يربط الخطاب بسياقه الخارجي المنجز فيه بمكوناته وخصائصه المختلفة بما في ذلك ظروف منتجه.

يتوجه العمل الذهني التحليلي الذي يقوم به المؤول من بنية الخطاب السطحية إلى بنيته التحتية؛ حيث تمثل هذه الأخيرة مركز المكونات الرئيسة الدافعة إلى الفهم والإدراك، وذلك ما يتعلق في هذه النظرية بالمستوى العلاقي والمستوى التمثيلي، وهذا ما يجعل المتلقي مضطرا إلى إعادة ربط الخطاب بمنتجه وسياقاته الخارجية التي تُكوّن فضاءه المعرفي، ولعل ذلك ما يكون خاصة إذا كان الخطاب غير مباشر حيث يكون التلقي المتباعد، فقد ميز الوظيفيون على أساس زمن التعامل مع الخطاب بين نوعين من التلقي:[19]

أ - **التلقي المتزامن**: التلقي الذي يتم إبان الإنتاج (البث) نفسه كما يحصل في الحوارات والمحادثات والمهاتفات.

ب - **التلقي المتباعد**: التلقي الذي يتم خارج زمن الإنتاج متأخرا عنه لاحقا به، وهو ما يحصل حين قراءة خطاب ما أنتج في زمن آخر قد يقترب وقد يبعد (رواية، قصيدة ..)

يشكل فهم دلالة الخطاب معيار نجاح عملية التأويل، ويحصل ذلك - حسب ما جاءت به نظرية النحو الوظيفي - من خلال تمكّن المؤول في خضم إستراتيجية الرجوع إلى البنية التحتية، من الوصول إلى الفحوى القضوي المضمر الذي يستبطنه الخطاب، والسعي من وراء ذلك إلى محاولة تحديد ومعرفة مقصدية المنتج، عبر ما يمكننا تسميته بتقنية: (**التحديد التأويلي الافتراضي)** التي تعتمد على عمليات العقل التحليلية الاستدلالية، إذ لا يمكننا أن نتكلم عن تأويل قاطع على الإطلاق إلا إذا افترضنا مقصدية للمنتج لتحكم ذلك التأويل؛ فذلك أساس التأويل الناجح، حيث "يتوجب إدراك معنى العبارة اللغوية - بوجه عام - الوصول إلى فحوى العبارة ذاتها من جهة وإلى قصد المتلفظ من جهة ثانية. فعملية التأويل يجب أن تنصب، في الأحوال العادية، على

المحتوى القضوي للعبارة وعلى القوة الإنجازية المواكبة له معا"[20]، إذ من خلالهما يمكن فهم معنى العبارة ومعرفة قصد المتكلم.

فقد تمت صياغة قانون التأويل الناجح في هذه النظرية، بالنظر "إلى حصول المماثلة بين العناصر التالية: (أ) فهم المتلقي، (ب) دلالة العبارة، (ج) قصد المتكلم، وذلك ما يتبين في الشكل الآتي:

تأويل ناجح: فهم = دلالة العبارة = قصد"[21].

نشير هنا إلا أن هذا القانون -حسب رأينا -ليس قانونا مطلقا إذ يصطدم بحقيقة كون معرفة القصد أمر نسبي؛ لا سيما إذا تعلق الحديث بالتلقي المتباعد الذي نجد من بين تجلياته الخطاب الأدبي المكتوب، حيث يتضمن دلالات بعيدة ترتبط بسياقات خارجية اجتماعية ذات أبعاد تاريخية ثقافية إيديولوجية، مما يجعل محاولة تحديد القصد متعلقا بالرجوع إلى كل ذلك، حيث يُفتح باب التأويل الذي تختلف من خلاله الرؤى المتصورة عن قصد المؤلف من مؤول إلى آخر.

يعتمد المخاطَب حسب نظرية النحو الوظيفي على مصادر معينة تمده بالمعلومات التي يوظفها للتعرف على ذات ما، وتتمثل في: [22]

- مخزون المخاطب المعلوماتي العام.
- السياق اللغوي.
- الموقف التخاطبي.
- عملية الاستدلال.

والواضح أن هذه المصادر ترتبط ارتباطا وثيقا بالقوالب؛ حيث نجد القالب النحوي الذي يتعلق (بالسياق اللغوي)، والقالب الاجتماعي ويتعلق (بالموقف التخاطبي)، وهو ما يمكن أن يتعلق كذلك بالقالب الإدراكي، ونجد القالب المعرفي ويخص (مخزون المخاطب المعلوماتي العام)، والقالب المنطقي ويتعلق (بالاستدلال).

تأخذ عملية التأويل عبر القوالب حالتين؛ حالة لا يحتاج فيها المؤول لقالب آخر غير القالب النحوي، وحالة يتطلب فيها التأويل قوالب أخرى إلى جانب القالب النحوي:

- **الحالة الأولى**: نمثل لها بالعبارة الآتية: قرأتُ رواية أحلام مستغانمي التي تحمل عنوان: (**ذاكرة الجسد**)، والتي نشرت عام 1993 في بيروت عن دار الآداب، فهذه العبارة "تمد المخاطَب بكل المعلومات التي تمكنه من تأويلها تأويلا كافيا ملائما، بحيث لا يحتاج إلى معلومات أخرى"[23]، خارجة عما تحيل عليه العبارة.

- **الحالة الثانية**: نمثل لها بالعبارة الآتية: **هل لديك رواية أحلام مستغانمي الجديدة؟**

أ - يمد القالب النحوي المؤول بالمعلومات اللغوية الصرف وهي: معلومات صرفية – تركيبية (صيغ المفردات التي تتكون منها العبارة والمقولات المعجمية، التي تنتمي إليها والعلاقات الدلالية والتركيبية والتداولية القائمة بين هذه المفردات...)، ومعلومات دلالية (معاني المفردات، معنى العبارة ككل)، ومعلومات تداولية (القوة الإنجازية التي تواكب العبارة ككل باعتبارها قوة إنجازية حرفية)[24]. فبفضل هذه المعلومات يستطيع المخاطب أن يدرك "المعنى اللغوي" للعبارة المعنية بالأمر.

ب - يمد القالب المعرفي المؤول بالمعلومات التي تمكنه من التعرف على ما تحيل عليه العبارة "رواية أحلام مستغانمي الجديدة ".

ولا يستطيع أن يتوصل إلى ذلك إلا إذا توافرت لديه المعلومات التالية: أحلام مستغانمي روائية عربية جزائرية، وأن روايتها الجديدة قد صدرت سنة: 2018، وأنها تحمل عنوان: (**شهيا كفراق**).

ج- على اعتبار أن الجملة واردة في مقام الالتماس لا السؤال المحض. توكل مهمة اشتقاق القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا (الالتماس) إلى القالب المنطقي. وتتم هذه العملية الاشتقاقية كما هو معلوم عن طريق قواعد استدلالية تربط بين البنية التحتية، الممثل لها في القالب النحوي والبنية التحتية التي مثل لها داخل القالب المنطقي.

د- لكي يتوصل المؤول إلى إدراك أن المراد التماس، يجب أن يلجأ إلى القالب الاجتماعي، الذي يمده بالمبدأ القاضي بأن الطلب الصادر عن شخص ذي وضع اجتماعي مماثل (أو

مساو)، يكون (التماسا لا أمرا أو دعاء). هذه المعلومة تستخدم في عملية اشتقاق القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا، أي الالتماس وتمنع، في الوقت ذاته من أن تؤول العبارة على أساس أنها تحمل قوة إنجازية أخرى.

ه - يشارك القالب الإدراكي كذلك في تأويل تلك العبارة؛ حيث يمكن للمخاطَب أن يستعين في عملية التعرف على الرواية المقصودة بالصورة التي تتوفر لديه مثل: (الغلاف الخارجي (اللون) والحجم...).

نصل من خلال ما سبق ذكره إلى النتائج الآتية:

- يعد التأويل في نظرية النحو الوظيفي عملية ذهنية ذات طابع قالبي، وهذا ما بينته بواسطة نموذج مستعملي اللغة الذي يتكون -حسب ديك -من خمس ملكات، بحيث تتكفل كل ملكة بجانب ودور معين يكون استعمال الخطاب تأويلا وفق هذه القوالب مضبوطا ومنظما، حيث يعمل كل قالب على القيام بوظيفة معينة، تكون ذات بعد لغوي، أو عقلي، أو معرفي، أو حسي، أو اجتماعي.

- تناولت نظرية النحو الوظيفي التأويل تناولا معرفيا علميا، ولعل منهج دراستها القائم على الصونة والنمذجة العلمية، هو ما جعل العملية التأويلية تأخذ نظام القوالب، وذلك ما جعل تصورها يتميز عن الدراسات السابقة لها.

- توضح الصياغة العلمية للتأويل الناجح والمتمثلة في: (تأويل ناجح: فهم = دلالة العبارة = قصد)، تركيز النظرية على الفحوى الدلالي الذي يرتبط ارتباطا مباشرا بمقصدية المنتج، وذلك ما تتداخل من خلاله مع العديد من الدراسات السابقة لا سيما منها التداولية.

5 - هوامش البحث:

[1] - ينظر: آيزر فولفغانغ، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تر: حميد الحميداني، الجيلالي الكدية، مكتبة المناهل، فاس، د/ت، د/ط، ص 12.

[2] - Hans Robert Jauss, Pour une esthetique de la reception, Paris, Gallimard, 1978, P 51.

[3] - جميل عبد المجيد، أنواع المؤلف في النقد الأدبي، دار الريف للطبع والنشر، الناظور، تطوان - المملكة المغربية، ط2: 2020، ص 25.

[4] - ينظر: سعد الله محمد سالم، ما وراء النص، عالم الكتب الحديث، الأردن – إربد، ط: 2008، ص 88.

[5] - خالد علي مصطفى، مفهومات نظرية القراءة والتلقي، مجلة ديالي، جامعة ديالي، العراق، ع: 69، 2016، ص 125.

[6] - بول ريكور، النص والتأويل، تر: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي، ع: 3، 1988، ص 38.

[7] - ينظر: عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط: 1999، ص 56.

[8] - ينظر: حسان الباهي، الذكاء الاصطناعي وتحديات مجتمع المعرفة، حنكة الآلة أمام حكمة العقل، أفريقيا الشرق، المغرب، ط: 2012، ص 34 – 35.

[9] - أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور، دار الأمان، الرباط، ط1: 2012، ص 28.

[10] - أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 29

[11] - أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ص 52.

[12] - أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، ص 36.

[13] - ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 38.

[14] - المصدر نفسه، ص 33.

[15] - المصدر نفسه، ص 33.

[16] - أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 33.

[17] - المصدر نفسه ، ص 39

[18] - أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 388.

[19]- ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب الموسط، ص 83.

[20] - ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 143.

[21] - ينظر: المصدر نفسه.

[22] - ينظر: المصدر نفسه، ص 360.

[23] - المصدر نفسه ، ص 33.

[24] - ينظر: المصدر نفسه، ص 33.